شرح كتاب الفتن من صحيح البخاري: الدرس التاسع

لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على آلائه والشكر له على نعمائه وصلى الله وسلم على خير خلقه وأنبيائه

قال البخاري رحمه الله: **بَابٌ إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا**

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ قال: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ رَجُلٍ لَمْ يُسَمِّهِ عَنِ الحَسَنِ قَالَ: خَرَجْتُ بِسِلاَحِي لَيَالِيَ الفِتْنَةِ، فَاسْتَقْبَلَنِي أَبُو بَكْرَةَ،

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد. أورد المؤلف هذا الحديث في باب الفتن لأن من الفتن العظيمة حمل السلاح المسلمين واللجوء إليه في حالة الفتنة والمراد بالفتنة هنا اختلاط الأمور أما لو كان للمسلمين إمام وجماعة فإن جمهور الصحابة والتابعين يرون وجوب القيام مع الإمام وجماعة المسلمين ونصر الحق ورد الفئة الباغية فصار النهي عن حمل السلاح إنما هو في حال اختلاط الأمور وعدم وجود الإمام والجماعة أما إذا وجد الإمام والجماعة فإن جمهور الصحابة والتابعين على وجوب القيام مع جماعة المسلمين وإمامهم ونصر الحق ورد البغاة.

أحسن الله إليكم شيخنا.

عَنِ الحَسَنِ قَالَ: خَرَجْتُ بِسِلاَحِي لَيَالِيَ الفِتْنَةِ، فَاسْتَقْبَلَنِي أَبُو بَكْرَةَ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ: أُرِيدُ نُصْرَةَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِذَا تَوَاجَهَ المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَكِلاَهُمَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ))- يعني يستحقان دخول النار؛ لأن عقيدة أهل السنة والجماعة أن من يموت على الكبائر فإنه تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عَذَّبَه ثم أدخله الجنة فالوعيد هنا بالنار يعني أنهما يستحقان ذلك لكنهما تحت مشيئة الله وقيل إن هذا الوعيد محمول على من استحلَّ حمل السيف على المسلمين فيكون ذلك كفرًا ويكون الوعيد على بابه- **قِيلَ: فَهَذَا القَاتِلُ، فَمَا بَالُ المَقْتُولِ؟ قَالَ: ((إِنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ)) قَالَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ: فَذَكَرْتُ هَذَا الحَدِيثَ لِأَيُّوبَ، وَيُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ، وَ أَنَا أُرِيدُ أَنْ يُحَدِّثَانِي بِهِ، فَقَالاَ: إِنَّمَا رَوَى هَذَا الحَدِيثَ: الحَسَنُ عَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قال حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ قال حَدَّثَنَا حَمَّادٌ بِهَذَا. وَقَالَ مُؤَمَّلٌ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ قال حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، وَيُونُسُ، وَهِشَامٌ، وَمُعَلَّى بْنُ زِيَادٍ عَنِ الحَسَنِ عَنِ الأَحْنَفِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ . وَرَوَاهُ مَعْمَرٌ عَنْ أَيُّوبَ**

وَرَوَاهُ بَكَّارُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، وَقَالَ غُنْدَرٌ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَمْ يَرْفَعْهُ سُفْيَانُ عَنْ مَنْصُورٍ.

بابٌ كَيْفَ الأَمْرُ إِذَا لَمْ تَكُنْ جَمَاعَةٌ؟

قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قال: حَدَّثَنَا الوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قال: حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ قال: حَدَّثَنِي بُسْرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الحَضْرَمِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا إِدْرِيسَ الخَوْلاَنِيَّ أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ، يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟" قَالَ:((نَعَمْ)) - قال: العلماء المراد بالشر بعد هذا الخير قيل إن هذا الشر ما كان في الفتنة الأولى أو الكبرى في زمن عثمان رضي الله عنه وقيل غير ذلك - فَقُلْتُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟" قَالَ:((نَعَمْ)) قُلْتُ: "وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟" قَالَ:((نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ)) قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ:((قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ)) قُلْتُ: "فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟" قَالَ: ((نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا)) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ:((هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا)) - قيل المراد ب ((وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا)) يعني أنهم من العرب- قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ:((تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ)) قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ:((فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ))

ففي هذا الحديث بيان المخرج من الفتن عند حصولها وأن الأمن من الفتنة يكون بالتزام جماعة المسلمين وإمامهم؛ لأنه جاء عند الترمذي: ((إنَّ أمَّتي لا تجتمعَ علَى ضلالةٍ)) وجاء في لفظٍ آخر ((إنَّ الله أجار أمَّتي أن تجتمعَ علَى ضلالةٍ)) وفي حديث الافتراق لما سُئل النبي عليه الصلاة والسلام عن الفرقة الناجية قال: ((هي الجماعة)) في رواية وجاءت أحاديث كثيرة في الترغيب بلزوم الجماعة وجاء عند أحمد وغيره : ((مَن أرادَ بَحبوحةَ الجنَّةِ فلْيلزَمْ الجماعةَ)) وجاء أيضًا ((الجماعةُ رحمةٌ ، و الفُرقةُ عذابٌ)) والله عز وجل في آياتٍ كثيرة نهى عن مفارقة الجماعة والتفرق في الدين فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ....﴾ [آل عمران:١٠٣] وذَمَّ الله عز وجل الذين وقعوا في الاختلاف والتفرق فقال سبحانه: ﴿... وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا.... ﴾ [الروم:٣١، ٣٢] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا -وفي قراءة ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَارَقُوا....﴾ - دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ.... ﴾ [الأنعام:١٥٩]؛ ولهذا من أصول أهل السنة والجماعة الدعوة إلى الاجتماع والائتلاف والبُعد عن التفرق والاختلاف. وأهل السنة سُمُّوا بالجماعة؛ لأنهم يدعون إلى الجماعة وأهل البدعة سُمُّوا بأهل الفُرقة لأنهم يدعون إلى مفارقة الجماعة قد جاء عن ابن عباس في قوله عز

وجل:﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ.... ﴾ [آل عمران:١٠٦] قال:" تَسْوَدُّ وُجُوه أهل الفُرقة" وقال الإمام الطحاوي في عقيدته: "ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة"

وأهل السنة في عقائدهم ينصون على وجوب لزوم الجماعة والعد عن مفارقتها، فإن لم يكن للناس إمام ولا جماعة فإن السلامة في اعتزال تلك الفِرَقِ كلها والفرار بالدين.

أحسن الله إليكم شيخنا.

بَابٌ مَنْ كَرِهَ أَنْ يُكَثِّرَ سَوَادَ الفِتَنِ وَالظُّلْمِ

يعني أنه عند وقوع الفتن المُختَلِطَة فإن الإنسان لا يسعى مع طوائف الفرقة والخلاف لئلا يُكَثِّرَ سوادهم والمقصود هو اعتزالهم لئلا يقوي أهل البغي والعدوان.

قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ قال: حَدَّثَنَا حَيْوَةُ، وَغَيْرُهُ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو الأَسْوَدِ، وَقَالَ اللَّيْثُ: عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ، قَالَ: قُطِعَ عَلَى أَهْلِ المَدِينَةِ بَعْثٌ، فَاكْتُتِبْتُ فِيهِ، فَلَقِيتُ عِكْرِمَةَ فَأَخْبَرْتُهُ فَنَهَانِي أَشَدَّ النَّهْيِ ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ: " أَنَّ أُنَاسًا مِنَ المُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ المُشْرِكِينَ، يُكَثِّرُونَ سَوَادَ المُشْرِكِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى به فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ فَيَقْتُلُهُ، أَوْ يَضْرِبُهُ فَيَقْتُلُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ.... ﴾ [النساء:٩٧]" يعني أنه لو خرج معهم ولم يَنْوِ القتال لكان خروجه مَحَلًّا للذَّم .

بَابٌ إِذَا بَقِيَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ

حُثَالَة النَّاسِ الحثالة يعني الرديء وما لا خير فيه وقد جاء عند البخاري أن النبي ﷺ قال: ((كيف أنتَ يا عبدَ اللهِ بن عمرو إذا كنتَ في حُثالةٍ مِن النَّاسِ)) وزاد أحمد وأبو داوود وابن ماجه((قد مرَجَتْ عهودُهم وأماناتُهم واختلفوا حتى صاروا هكذا)) وشبَّك بيْنَ أصابعِه فقال عبد الله بن عمرو : فما تأمرني يا رسولَ اللهِ ؟ قال: ((الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ بما تعرفُ ودَعْ ما تُنكِرُ وعليك بخاصَّةِ نفسِك ودَعْ عنك أمر العوام)) وجاء في البخاري ((يذهب الصَّالحونَ الأوَّلُ فالأوَّلُ حتَّى يَبقى حُثالةٍ كحثالة الشَّعيرِ أو التَّمر لا يأبه اللهُ بهم))

أحسن الله إليكم شيخنا.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ قال: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ قال: حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قال: حَدَّثَنَا حُذَيْفَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَ أَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ: قال حَدَّثَنَا: ((أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ- يعني في أصل- قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ)) وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: ((يَنَامُ الرَّجُلُ

النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الوَكْتِ- الوكت يعني الأثر من الشيء- ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى فِيهَا أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا - فتراه مرتفعًا- وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، وَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ! وَمَا أَظْرَفَهُ! وَمَا أَجْلَدَهُ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ))

الأمانة ضد الخيانة وهي مشتقة من الأمن وهو ضد الخوف واختُلِفَ في المراد بالأمانة على أقوال كثيرة قال القرطبي:" الأمانة تَعُمُّ كل فرائض الدين على الصحيح من الأقوال فالتوحيد أمانة والصلاة أمانة والزكاة أمانة والوضوء أمانة وسائر الأعمال أمانة" والأمانة من صفات الأنبياء والرسل قال الله عز وجل في سورة الشعراء على لسان جُملةٍ من أنبيائه ورسله : ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء:١٧٨،١٦٢،١٤٣،١٢٥،١٠٧] وقال عن يوسف: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥] وقال عن موسى عليه السلام:﴿...إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦] فالأمانة من صفات الأنبياء والرسل وقد جاء في الحديث عند أحمد: ((أَوَّلُ ما تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الأَمَانَةُ وآخِرُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الصَّلَاةُ)) ولهذا ذكر في هذا الحديث إن الأمانة تُرفَع من القلوب من قلوب الناس وإذا رُفِعَت الأمانة فلا عهد عندهم ولا دين عندهم كما جاء عند أحمد: ((لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له ، ولا دينَ لمن لا عهدَ له)) "وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ، وَلاَ أُبَالِي أَيُّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الإِسْلاَمُ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ- ساعيه يعني الحاكم عليه- وَأَمَّا اليَوْمَ: فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ إِلَّا فُلاَنًا وَفُلاَنًا."

ولهذا جاء ابن عمر رضي الله عنه قال:" لا تَغْتَرَّ بصلاته ولا صيامه فمن شاء صلى ومن شاء صام ولكن لا دين لمن لا أمانة له"

بَابُ التَّعَرُّبِ فِي الفِتْنَةِ

التَّعَرُّبِ يعني الخروج إلى البادية وقد جاء في الصحيح في البخاري باب الفرار من الفتن وقال: ((يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ – يعني رؤوس - الجِبَالِ وَمَوَ اقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ)) وذكرت لك في الدرس الماضي العزلة وأحوالها وما يُشرع منها وما لا يُشرع منها.

أحسن الله إليكم شيخنا.

قال: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قال: حَدَّثَنَا حَاتِمٌ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الحَجَّاجِ فَقَالَ: "يَا ابْنَ الأَكْوَعِ ارْتَدَدْتَ عَلَى عَقِبَيْكَ، تَعَرَّبْتَ؟" قَالَ: "لا، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَذِنَ لِي فِي البَدْوِ"

وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ: "لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ خَرَجَ سَلَمَةُ بْنُ الأَكْوَعِ إِلَى الرَّبَذَةِ - موضع بين مكة والمدينة - وَتَزَوَّجَ هُنَاكَ امْرَأَةً، وَوَلَدَتْ لَهُ أَوْلاَدًا، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا، حَتَّى قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِلَيَالٍ، نَزَلَ المَدِينَةَ"

قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قال: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: ((يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ))

وذكر البخاري هذا الحديث في أول صحيحه في باب الفرار من الفتن.

بَابُ التَّعَوُّذِ مِنَ الفِتَنِ

جاء عند مسلم: ((تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الفِتَنِ، ما ظَهَرَ منها وَما بَطَنَ)) وجاء في الصحيح: ((إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِن أَرْبَعٍ...- وذكر منها الاستعاذة- مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَمن فتنة الْمَمَاتِ)) وهذا فيه اللجوء إلى الله عز وجل في الثبات على الدين وملاقاة الله عز وجل على التوحيد والعبد إنما يُدخَلُ عليه من جهتين إما من جهة فساد نيته وإما من جهة فساد عمله أما فساد نيته بأن يكون عنده نوع رياءٍ في أعماله فتكون هذه النية سببًا في زَيْغِه وإعراضه عن الحق وهذا من الفتنة وإما من جهة سوء عمله وسوء العمل يكون تأثيره أعظم في الخلوة كما هو في الجلوة فإذا كان في الصحيح:((كُلُّ أُمَّتِي مُعافًى إِلَّا المُجاهِرِينَ)) فالمراد بعدم المعافاة هنا يعني عدم التوفيق للتوبة فأيضًا ذنوب الخلوات لها أثر في وقوع الزَّيغ الوقوع في الزيغ والانحراف وقد جاء عن ثوبان عند ابن ماجه بإسنادٍ صحيح أن النبي ﷺ قال:((لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي، يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ، أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بَيضاء، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا))، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لا نَعْلَمُ، قَالَ: ((هم مِنْ بني جِلْدَتِكُمْ، ويتكلمون بألسنتكم وَيَأْخُذُونَ مِنْ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، لَكِنَّهُمْ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا)) ولهذا يحرص العبد على ألا يؤتى من جهة فساد نيته فيجاهد نفسه على تصحيح النية وإخلاص القصد لله في سائر العمل ويحرص ألا يؤتى من جهة فساد عمله بذنوب خلواته وقد يؤتى العبد من جهة فساد العمل بإتيان مُحَقَّرات الذنوب يعني الإصرار على صغائر الذنوب قد جاء عند أحمد :((إِيَّاكُم ومحقَّراتِ الذُّنوبِ فإنَّها تجتمِع على الرَّجلِ حتَّى تهلِكهُ)) يعني تهلك دينه ويؤتى العبد من جهة عمله إذا أعرض عن القرآن والسنة وقَدَّمَ هواه على ذلك على سبيل المعاندة قال الله عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣] قال الإمام أحمد :" لعله يَرُدُّ بعض أمره- يعني عليه الصلاة والسلام- فيقع في قلبه شيءٌ من الزيغ فيهلك"؛ ولهذا يحرص المؤمن على أن يسأل الله عز وجل ويَلْهَج بدعائه والاطِّراح بين يديه أن لا يُزيغ قلبه وأن لا يصرفه عن طاعته وسيد الخلق وأفضل الناس كان يُكثِر من قول: :((اللهم يا مُقلِّبَ

القُلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ)) و :((يا مُصرِّفَ القلوبِ والأبصار صَرِّف قلْبِي على طاعتِكَ)) ويَتَوَكَّد هذا في زمن الفتن ففي زمن الفتن يَفْزَع المؤمن إلى ربه ويُقْبِل عليه ويَشْتَغِلُ بطاعته ومن صور الفرار بالدين كما مر معنا في زيادة أحمد وابن ماجه وأبي داوود أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لعبد الله بن عمرو : ((الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ بما تعرف، ودَع ما تنكر وعليك بخاصة نفسك)) يعني اشتغل بما ينفعك في أمر دينك ودنياك ولا يعني هذا أن الإنسان يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة وهداية الناس إلى الخير لكن لا يشتغل بغير ما ينفعه وكثير من الخلق اليوم يشتغلون بما لا ينفعهم عَمَّا ينفعهم والمسلم المُوَفَّق هو الذي يشتغل بما ينفعه عما لا ينفعه. نقف عند هذا وصلى الله وسلم وبارك على محمد.